الخطاب الديني بين مطرقة أحزاب الاسلام السياسي، وسندان الاعلام العام والاجتماعي

الاستاذ الدكتور

عزيز علي عبيد

منسق المفوضية الاوربية للشراكة العربية

عميد كلية قانون

مملكة السويد

مؤتمر
كلية
الدراسات
الإسلامية

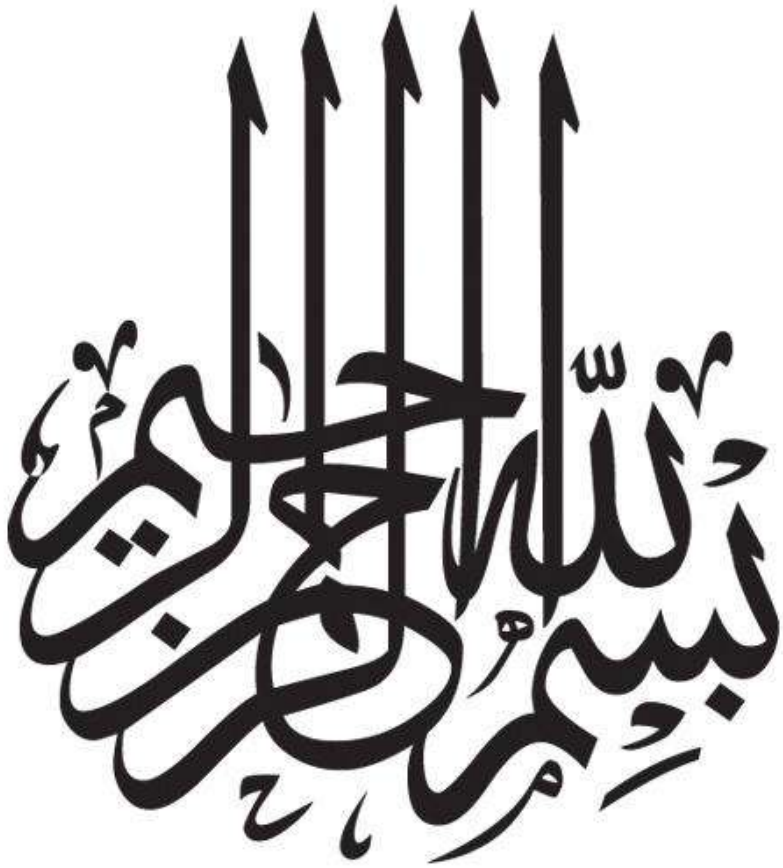
بسم الله الرحمن الرحيم

خطة البحث

المقدمة

المبحث الاول – خطاب الاسلام السياسي بين جاذبية دينية مسيسة،ومنابر طائفية ممترسة

المبحث الثاني– الصراع بين الأعلام والمؤسسات والشخصيات الدينية بين مهمة التواصي والتواصل وتحديات التنابز والتلاسن

المبحث الثالث– تحديات الخطاب الديني في أدارة التنوع

المبحث الرابع– النتائج والتوصيات

المراجع

المقدمة

يناقش البحث الفقرة ٣ تجديد الخطاب الديني الواقع والمأمول،من المحور الثالث،مظاهر التجديد ونتائجه.

ليس هناك فرص كبيرة لتطوير خطاب ديني معتدل ومتنور من دون ضبط عملية الصراع بين وسائل الاعلام والمؤسسات الدينية ،ورجال الدين المتنورين،وضبط وتطويق عملية تسيس وتسليع الخطاب الديني من قبل احزب الاسلام السياسي الحاكم والمعارض على حد سواء في الخارطة السياسية العربية.

الحرية لا تتجزأ،واذ تتفاقم الشكوى من الدور السلبي لوسائل الاعلام والوسائط الاجتماعية في تسويق خطاب ديني يؤجج الصراعات الدينية والطائفية ، ترفض بعض وسائل الاعلام الرقابة على الأعمال الفنية من "المؤسسات الدينية التي تتم استشارتها في كل شاردة وواردة، في وقت يرى الإعلاميين انه لاأحد يسألهم في مواضيع تتعلق بالجزء الدنيوي من الدين ، وان المؤسسات الدينية تريد وضع قيودا على الإعلام ، تبرز هنا أحد أوجه ملامح معركة في الخفاء بين وسائل الاعلام والمؤسسات والشخصيات الدينية المختلفة. في الجانب الديني هناك اتهام لوسائل الاعلام بأنها تهديد خطير لسلطة المؤسسات والشخصيات الدينية، وهنا يجب ان لاندع معركة السلطة والنفوذ بين الاديان ووسائل الاعلام مدخلا لخنق الحريات،وتأجيج خطاب تصارعي . هنا السؤال، هل توهم البعض أن ثمة إغراء لا يُقاوم في محاولة تحقيق أحلامه السياسية مهاجما، او مدافعا في أقصر مدة، وبأقل ثمن، عبر رفع رايات الخطاب الطائفي،اعلام وأحزاب اسلام سياسي حاكمة ومعارضة ومؤسسات دينية؟ أن تحديد

النقطة الافتراضية لمغذيات هذا الصراع ، تتساءل هل اشترك الهداف والمستهدف في التغذية، وهل أن الجميع قد أسهم في الفتنة بدرجة ما، فأسهم في تغييب القانون الاجتماعي والقانون الرسمي؟. كماهو الحال في حركات الاسلام السياسي في –العراق– ،وبعض احزاب الاسلام السياسي التي تتخذ لنفسها مكانا كمعارضة سياسية لكن خطاباتها تبدوا وانها معركة بين كفرة ومؤمنين ،فالاسلام السياسي الحاكم في العراق مثلا بات خطابه الديني المسيس يكفر كل من يعارضه،وبعض احزاب الاسلام السياسي المعارضة تعارض كل من في حكم بلدانها،وهنا الكارثة التي تتسبب في تسميم الرأي العام.ان هذا الخطاب المسيس يمثل امتداد خاضع للخطاب الاعلامي والديني التركي– الايراني ،وكأحد مغذياته الخطيرة التي نجت منه مصر الى حدود كبيرة مع انها لازالت مستهدفة منه.

اذن لابد ان تتوفر بيئة لولادة خطاب ديني لايسيس الدين ولا يقوم بتسليعه وتغريبه للتغرير بالاخرين.

المبحث الاول

خطاب الاسلام السياسي بين جاذبية دينية مسيسة،ومنابر طائفية ممترسة

ان أهمية وسائل الاعلام تكمن أهمية الخطاب الديني عبر منابر الاعلام في مساهمته في توجيه أو تضليل الوعي الجمعي، فعدد القنوات الفضائية في العالم يزيد على خمسة آلاف قناة، ويبلغ عدد القنوات العربية ١٠٢٣ قناة، حسب أرقام الاتحاد العربي للإذاعات والتليفزيون، بيد أن من ملامح خطاب القنوات الطائفية التركيز على مشروع الدولة الدينية، والتحول من نقد التراث بشكل علمي إلى شتم ولعن للآخر، أن تمويل القنوات الطائفية يأتي من بعض الحكومات، كما يأتي من بعض بعض الهيئات والجمعيات الدينية إضافة إلى الأفراد الذين يملون القنوات بنسبة المشاهدة ورسائل الجوال . أن القنوات الطائفية لن تكون بهذه الحدة لولا وجود أطراف تستفيد منها، وأن أصحابها يدفعون الملايين على الإثارة من أجل استقطاب الجمهور، عبر النيل من الأطراف المخالفة لها . فهل هي محاولة لكي تصبح الكراهية الطائفية شيئاً مألوفاً، تنتقل في مستوى الوعي الجماهيري العام. فتصنع التنابز السياسي على القنوات الفضائية،ووسائط التواصل الاجتماعي بيئة صراعية مجتمعية قابلة للاشتعال. بعد ان لاحظ الباحث ان مجرد حدث سياسي عابر يريد خطاب بعض اهل السياسة والاعلام منه ان يجعلوا الناس أطرافاً في صراع على أسس طائفية متخمة بالأحقاد، عبر سيطرة على عروش الفضاء، ليتم صياغة عقول وقلوب ملايين البؤساء على ما تعكسه رؤى قاصرة، مع أن العالم العربي في حاجة إلى دولة مواطنة بغض النظر عن الانتماء

المذهبي. فالتقرير الذي أعدته قناة «بي بي سي» تحت عنوان «أثير الكراهية»، خفايا القنوات الطائفية التي تبث برامجها المثيرة في المنطقة العربية بمختلف اللغات، بيَّن التقرير أنه لا توجد لدى الجهات الرسمية العربية التي تبث منها هذه القنوات أي جهود تُذكر للحد منها أو اتخاذ إجراءات جادة لإيقاف بث برامجها الطائفية،

والنتيجة بات كل ما موجود من صور التأزم الطائفي ليس نابعاً من ذات الاختلاف الديني، وإنما هو نابع من تسييس خطاب هذا الاختلاف، ونقله من مستوى الخطاب الروحاني الفرداني إلى مستوى الخطاب الإيديولوجي للتأثير في الفضاء الاجتماعي العام.

بعض حركات الإسلام السياسي العراقي مثلا،عرضت نفسها متكئة على سندين: أولاً جاذبية خطابها الديني المُسيَّس عاطفياً والموجه طائفيا للشعب العراق خاصة ،والى شعوب دول المشرق العربي . ثانياً، فزاد الطلب على الخطاب المتشدد دينياً وسياسياً، وصارت تتفرخ حركات وأحزاب ودعاة تلبية لهذا الطلب، فحزب الدعوة صار عدة احزاب للدعوة وغيرهم بات عدة واجهات، والمجلس الاعلى تنوعت تفرعاته، وكذلك الحزب الاسلامي العراقي ،وهكذا دواليك.

لكن الطلب على الخطاب شيء والتعامل الواقعي مع خطاب إدارة الدولة الحديثة أو قيادة معارضتها شيء آخر، وفي الذاكرة الطلب الجارف على الخطاب الماركسي في بعض دول العالم الثالث واوربا الشرقية، والنهاية الكارثية له .

ان وضع عمليات التعاقب الزمني لشكل طبيعة الحكم في العراق منذ ٢٠٠٣ للان تظهر، كيف أدار الاسلام السياسي بتنوعه الطائفي خطابه ادارة الدولة في العراق ،عبرتبني خطاب غزوا حاول ان يضفي عليهم

شرعية النظام «الديمقراطي الليبرالي» الذي يمثل مرجعية الفكر والخطاب السياسي الامريكي، ففي الواقع أنهم لم يكونوا في حيرة بالبداية. ويشير التحليل ،يبدوا انهم فيما بينهم تساءلوا، إن رفضوا ماسمي بخطاب النظام الديمقراطي الجديد، واستحوذوا على الدولة فسيقضون على شرعية امريكا التي جاءت بهم لسدة الحكم، وإن انقادوا له فسيقضون على مضمون الأسس الايدلوجية الدينية لأحزابهم،وخطابهم ! فأي الخطابين سيختارون؟ خطاب الديمقراطية تؤكد دراسات الفكر السياسي انه ليس في أجندتهم، بل إنه في تاريخهم الفكري بدعة وضعية، لكن وقائع السلوك السياسي تشير الى انه طاب لهم مرحلياً بسبب ،ضغط امريكي ،وتوجه جماهيري في السنتين الاولى. خطابهم حصل على موطأ قدم مؤقتة ليس نتيجة لنجاحهم بل لفشل خطابات الآخرين. أما حماية الحريات فخطابهم غير معني بها. فلذا لف خطاب نوع من الحيرة والارتباك والغموض ،وظلوا للأن يتساءلون بأي الطريقين سيمضون، خطاب الدولة الحديثة أم الدولة الاستبدادية ؟ الجواب يفرزه ،ويخرج به تحليل مضمون، الخطاب السياسي، والاعلامي، لأحزاب الحكم ،فمن الناحية اللفظية إعلامياً تلاعبوا بشكل تفسده الوقائع الكارثية على الارض حول موقفهم من النظام «الديمقراطي الليبرالي» الذي أتت عربته بهم، وبالمقابل لم يجيبوا بوضوح حول هذا التناقض في أيديولوجيتهم الاسلامية. فماذا يريدون بالضبط؟[١] والسؤال مثلاً، لو أن الامريكان فرضوا خيارخطاب ضد خيارخطابهم هل سيستمرون بالديمقراطية أم سيخرجون من نظام الدولة ويكفرون المجتمع المسلم، وامريكا معا؟ لكن امريكا ومن اجل اضفاء مصداقية وادامة زخم لمبررات مشروعها السياسي، منحتهم فرصة معتقدة انهم سيحترمون

حقوق الشراكة السياسية التي يقولون انهم حرموا منها ،وكذلك احترام حقوق الأقليات والاديان والمختلفين سياسيين.

يظهر التحليل، والمعايشة ان خطاب تيارات الاسلام السياسي العراقي المختلفة مر بمرحلة تحولات مهمة في الخطاب والممارسة في أعقاب وصول بعضها، او اقتراب البعض الاخر من السلطة وكرسي الحكم، حيث يعاني من التضحية بالاستراتيجية لصالح التكتيك، وخواء المحتوى البرامجي، وعدم القدرة على التحرر من علاقة التبعية التي فرضت ارباكا حد التناقض بين مرجعيات الخطاب السياسي بثوب الدين.لذا يمكن القول كمقدمة للأسباب من وجهة نظر علمية التي دفعت خطاب الطائفية ليأخذ هذا المنحى البديل ،المبرر للمحرمات والطائفية كبديل للبرامج السياسية الاجتماعية، وتغليب

الطائفية السياسية، كبديل للسياسة الاجتماعية ،هي أن السياسيين المهيمنين على السلطة يستغلون المشاعر الدينية والمذهبية لأتباع مذهبهم، فيثيرون فيهم المخاوف من أتباع المذاهب الأخرى، والعداء ضدهم، بغية كسب دعم أبناء طائفتهم لاحتكار السلطة ولمصالحهم السياسية. وهو ما يفصح أن الاختلاف الطائفي لم يكن في حقيقته المصدر الحقيقي للصراع، مع أن الرايات المرفوعة في الصراع طائفية بامتياز،الشكل التالي يضع تحليلا منطقيا لمألات خطاب الاسلام السياسي الحاكم في العراق،مختلف ألطوائف[٢].

جدول رقم 2 استخدام لغة التفتيت الطائفي والعرقي في خطابات وسائل الاعلام العراقية الذي تحول الى منصة اعلامية مفرطة تنتج تطرفا وارهابا متواصلا

	الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	المستوى	الرتبة
3	لغة طائفية تثير الازمات السياسية .	4.53	0.75	مرتفع	1
4	خطابا إعلاميا مؤججا ومبرمجا لصالح الانتماء الطائفي	4.52	0.78	مرتفع	2
5	خطابا إعلاميا مؤججا ومبرمجا لصالح الانتماء العرقي	4.49	0.85	مرتفع	3
7	الافتقار الى لغة الخطاب الوطني الجامع الموحد.	4.47	0.73	مرتفع	4
6	لغة ثقافة الولاء للطائفة .	4.32	0.90	مرتفع	5
2	لغة خطاب إعلامي يتضمن دلالات طائفية.	3.46	1.45	متوسط	6
1	لغة إعلامية متوازنة ليس فيها رموز طائفية .	1.57	0.81	متوسط	7

ما يبدو كصراع بين طوائف دينية هو في جوهر دوافعه صراع خطاب بين أطياف سياسية، قد تتوسل بالخطاب والمفردة الطائفية إلى غاياتها، ولكنها لا تتحرك بقوة دفعها، ولا تعدها الغاية القصوى، ولا الغرض الأسمى، إلا في مستوى الشعار المعلن، الشعار الصاخب الذي يُخفي أكثر مما يعلن، لأنه خطاب لا يهدف إلا إلى الحشد والتجييش و(تكثير السواد) ولو بجماهير الغوغاء . والأخطر أن البعض الرسمي العربي،يمارسون سياسة استضعاف عرب المشرق ،ويؤججون الشارع العربي بالكراهية والتخوين والتخويف ضدهم ، في استنتاج واضح يبين وقوع بعض العرب في فخ استخباري اقليمي ،يثقل كاهل عرب المشرق العربي ويثير الرعب ، وهم يرون العرب يتنازلون عن اخطر أوركهم لصالح ايران وتركيا،ف عرب العراق يوحي العرب بأن ايران هي المعنية بهم أكثر مما هم معنيون بهم، وهذه النتيجة شجعت تركيا لتوقع العرب بذات الفخ لتتضخم رغباتها في تزعم السنة العرب ،حتى حصل الذي

يحصل من اصطفافات الان. وشجع التراخي والتراجع العربي تركيا وايران في تضمين كثير من مضامين خطاب قنواتها الاعلامية لتتحولجسر عبور مهمته توطين خطاب التفرقة وتجييش التناحرات الطائفية حتى باتت قنوات الأعلام ايراني – تركي تنتج تجاذباته في عالمنا العربي خطاب مقلقا لايصب في صالح العربي،الشكل التالي يظهر الى اغراءات الفراغ العربي سياسيا واعلاميا الذي استدرج تغولا متنوعا لخطب تركي – ايراني يسعى لتوطين الفرقة والتناحر.

هنا يمكننا أن نفهم الأسباب الكارثية لخطاب وأنشطة الإسلام السياسي كأيديولوجية دينية سيست الدين وقامت بتسليعه في متتالية غزو العراق؟ .

فاذ سعى صموئيل هنتنغتون، اللاعلان عن أن ظاهرة الإسلام السياسي يمكن أن تكون سمة من سمات "صراع الحضارات" الذي لا مفر منه، وفقا للصراعات والتهديدات المهددة للسلام العالمي والأمن في القرن ٢١ والتي ستنفذ على طول خطوط الصدع الحضارية[٣]، نرى ان تجربة الاسلام السياسي في العراق وما ماثلها تبنت أطروحة صموئيل هنتنغون ليصبح خطاب ادائها اليومي فعلا رئيسيا لخطوط الصدع بين الطوائف والأديان والأقليات المتعايشة على المستوى الاقتصادي و الاجتماعي والديني ،والمتمثل في سلوك وخطاب الكراهية الشديدة وتبرير لجرائم قتل النفس والاستيلاء على أموال الناس، أو إتلافها ،لتوحي للخارج بمصداقية رؤى صاموئيل استنادا الى كوارث خطابها وفعلها الميداني،وليس الى حقيقة التلاقي الانساني،لتدفع العالم ليستنتج ان عالم عربي اسلامي مزقت تجارب الاسلام السياسي نسيجه وزرعت الصراعات الدموية به،أكيد لن يتعايش مع حضارات وثقافات خارجه فحسب،بل ويستعد للتشغيل الانتقامي لصراع حضارات،وهنا يمكن القول استطرادا،.

إن الشباب الذين يُعانون من صعوبات الحياة الاقتصادية والمعيشية في العراق،هم الأكثر استعداداً للإنجذاب إلى خطاب الأيديولوجيات المتطرفة[٤]، وتقع جزء كبير من هذا المسؤولية على عاتق خطاب الاسلام السياسي الحاكم،لانه لم يدرك أهمية ممارسة تأثير إيجابي عليهم، بغية إفشال الرؤية المتطرفة.

المبحث الثاني

الصراع بين الأعلام والمؤسسات والشخصيات الدينية بين مهمة التواصي والتواصل وتحديات التنابز والتلاسن.

هناك نقاش طويل يدور بصمت اليوم حول مخاطر انفلات الصراع الصامت بين الاعلام في ثنائيته الافتراضية والفضائية من جهة والشخصيات والمؤسسات الدينية،في أجواء تراجع الاهتمام في التدين المؤسسي التقليدي،والانتقال للنهج الفردي الأكثر انفتاحا وتنوعا في حرية خياراته من مؤسسات التدين التقليدي، ان وليام جيمس (١٨٤٢-١٩١٠) كان منذ زمن طويل أحد رواد التفريق بين التدين المؤسسي من جهة والتدين الشخصي من جهة اخرى [٥]. وبعده، جوردون ألبورت (١٨٩٧-١٩٦٧) ، الذي يعتبرالتدين المؤسسي إما كمفهوم أوسع لإعتماده على الانضباط الديني بنسب متفاوتة،وفق ظروف مختلفة، التي لا يمارسها بالضرورة عموم السكان في مجتمعات باتت أكثرعلمانية ،في زمن معولم[٦]، فجاءت المتغيرات الرقمية للطفرة الالكترونية ،الاعلام الافتراضي،أوالفضائي ليكون لها دور في تسريع هذا الصراع،الذي ولد من رحمه صراع أخر أكثر ضروارة بين الاعلام الرقمي والفضائي من جهة ،والمؤسسات الدينية من جهة اخرى..

النقاش الناشئ الجديد حول من هو الأكثرسلطة وديناميكية تواصلية ،وعلمية في عصر المعلوماتية وفق قواعد المصداقية ،فالمؤسسات الدينية وشخصياتها تخوض غمار محاولة لاستعادة الثقة وزيادة الاعتماد على خبرات المعرفة الدينية وهذا بدوره، يوضح كيف ان رجال الدين قد أعادوا محاولة تطويق الشبكات الاجتماعية على الانترنت ل تصبح

المساحات الدينية وممارسات محددة الحرفية لتعزيز سلطة المعرفة الدينية كأحد المصادر الرئيسية للتنشئة الأجتماعية، لذا لاحظ الباحث حرص بعض المؤسسات الدينية على الأستمر في نشر المؤلفات في تويتر وفيس واليوتيوب وغيرها من الوسائط،في محاولة للحفاظ على نفوذ التواصل ،عبر نقل الخطاب الديني من منابر المكان الى منابر الفضاء الافتراضي والفضائي،واسست الفضائيات والبرامج التلفزيونية الدينية. وكأنهم يعبرين عن ايمان بأن ان الإسلام لم يأت ليقف بالبشرية عند القرن الأول فكرًا وسلوكًا، وإنما جاء لكل العصور، حتى قيام الساعة، وعلى الخطاب الديني أن يسعى للبحث في الدين الإسلامي ليجد فيه بذور الإسلام التي تصلح لهذا العصر، فيجري بذرها حتى تنبت، وتنموا، وتترعرع، وتؤتي ثمارها إنسانًا مسلمًا ابنًا لهذا العصر،فالخطاب الديني هو فهم للدين في ضوء معطيات العصر، بما يضمن وجود الإنسان المسلم المتصالح مع عصره، والمشارك فيه بفاعلية وكفاء، دون أن يشعر أنه كافر أو زنديق، وبذات القدر دون أن يشعر أنه جاهل أو متخلف، يكسب الآخرة، ولا ينسَ نصيبه من الدنيا[٧] ، بعض المؤسسات الدينية ترى في الفضاء الالكتروني،والفضائيات فرصة كبيرة لتجاوز عقبة الدعوة والدعاة داخليا وخارجيا ،مستعينين بقوله تعالى:(إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون– الحجر: ٩ –) بعد أن رأت كيف أنّ القرآن الكريم، والسنّة النبويّة المشرّفة، وما يخدمهما من علوم ودراسات، صار من وسائل حفظها وسائل إلكترونيّة كثيرة، يتميّز استخدام كثير منها بالسهولة والسرعة والدقّة وانخفاض الكلفة، من دون أن تخفي تلك المؤسسات التقليدية قلقها من منافسة الفضائيات وشبكات التواصل على موقعها في سلم مصادر التنشئة الدينية والأسرية،بعد أن غدت العلوم الشرعيّة، بمختلف

أنواعها، تُقدّم من خلال سبل إلكترونيّة متعدّدة، صارت مقصِداً مهمّاً للمؤسسات العلميّة المتنوّعة، ولطلبة العلم، والباحثين، على مختلف مستوياتهم،وحدث تحول خطير في البيئة الاسرية مع مختلف الأديان وليس الدين الاسلامي وحده وكما موضح في الشكل التالي التالي.

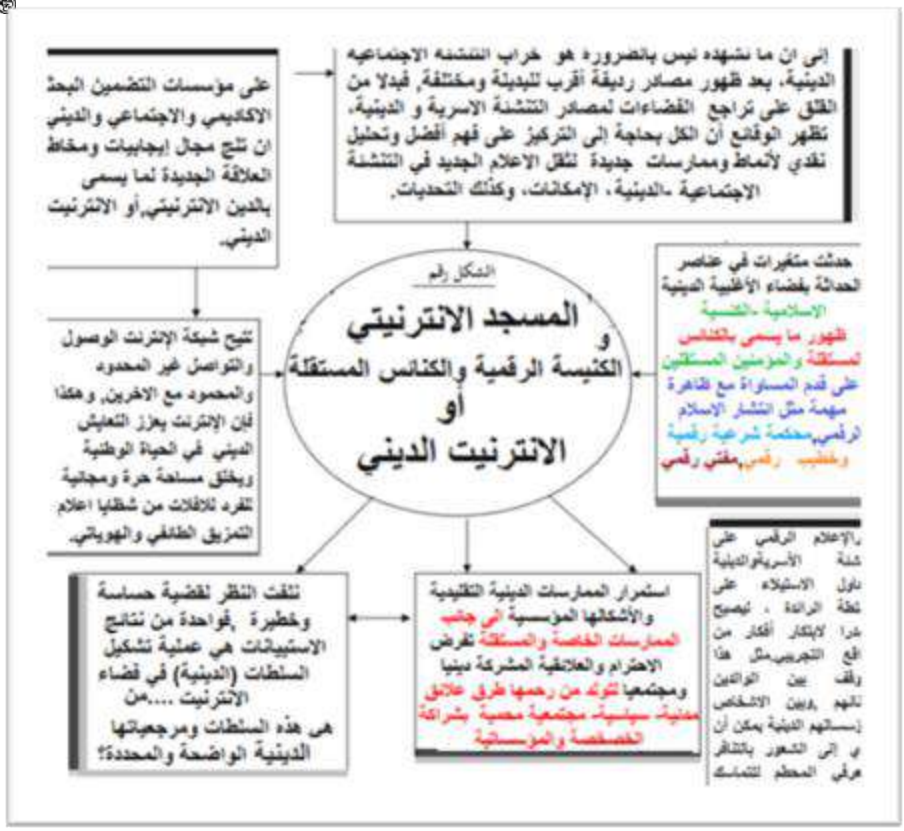

وهنا يبدو بشكل واضح،انه ليس هناك فرص كبيرة لتطوير خطاب ديني معتدل ومتنور من دون ضبط عملية الصراع بين وسائل الاعلام ووسائط التواصل والمؤسسات الدينية ،ورجال الدين وفق معطيات عالمية المعرفة ، وهذه أحد وجوه المعركة الصامتة،فاذ تتفاقم الشكوى من دور سلبي لبعض وسائل الاعلام في تسويق خطاب ديني يؤجج

الصراعات الدينية والطائفية ، ترفض بعض وسائل الاعلام الرقابة على الأعمال الفنية من "المؤسسات الدينية التي تتم استشارتها في كل شاردة وواردة، في وقت يرى الإعلاميين انه لأحد يسألهم في مواضيع تتعلق بالجزء الدنيوي من الدين ، وان المؤسسات الدينية تضع قيودا على الإعلاميين، لتبرز هنا أحد أوجه ملامح معركة في الخفاء بين وسائل الاعلام والمؤسسات والشخصيات الدينية المختلفة. في الجانب الديني هناك اتهام لوسائل الاعلام بأنها تهديد خطير لسلطة المؤسسات والشخصيات الدينية، وهنا يجب ان لاندع معركة السلطة والنفوذ بين الاديان ووسائل الاعلام مدخلا لخنق الحريات،وتأجيج خطاب تصارعي.[٨]

فاذ تكشف الوقائع هذه المعطيات وتبرزها البحوث، لاحظ الباحث ان هناك موضوع شبه مسكوت عنه عند التعاطي الديني للأعلام الجديد ، المتمثل في معركة صامتة بين بعض وسائل الاعلام التي تتهمها بعض المؤسسات والشخصيات الدينية،في انها تسعى لتشكيل ديانات وفق مقاسات قيمها السياسية والاخلاقية التي تؤمن بها، وتحاول تسويقه كدين جديد للفئات الشعبية،واصرارها على تفكيك الاحتكار الذي تؤسسه المؤسسات الدينية على التفكير الديني،حيث ترى بعض وجهات النظر، ان بعض الخطابات الدينية، ارتدت مسوحا لها سمة القداسة، لكثرة الإلحاح عليها، فبعض الافكار تحاول ايهام الأخرين من انها تستند إلى ميراث طويل،لكنها سبل عدة، لتغييب العقل النقدي العربي، من خلال محاولة تأطيره في أنماط مسيجة راكدة، وإضفاء القداسة على بعض الخطابات ، وتسويغ وتمرير ربطها بالمقدس في تعاليه المباين عن البشري، وإسدال صفات المتعالي الأبدي، قناعة من الفضاء الاعلامي، إن نزع القداسة

عن الخطابات مع الإصرار على ثبات تلك القداسة على المقدس، يحرر العقل العربي من السير على الأنماط المعبدة، ويجعل المجتمع يعاين هذه الخطابات دون وصاية سابقة، ويجعل التأويل بوصفه منتجا ثقافيا مشدودا إلى سياق حضاري منعتقا من الاستلاب الذي يمارس تشويها، ويجعله متجذرافي الثبات،

كون ذلك الاصرار على تقديس بعض منابر الخطاب الديني محاولة لتغييب حقيقة ان النص مشدود إلى مصدر إلهي، ولكن الخطابات التي تتكون حول تأويل ومقاربة هذا المقدس سواء أكانت خطابات فقهية أم مذهبية أم غيرها، خطابات تاريخية، وتقف على بساط متساو من الأهمية[٩].

وفي اتون هذه المعركة الصامتة، تبرز ملامح رغبة بعض المؤسسات الدينية في توظيف ثقلها الاجتماعي لشيطنة وسائل الاعلام التي تتحسس او تناصبها الجفاء ولا نقول العداء، انها تتهم بعض وسائل الاعلام في اغتصاب مكان ومكانة الدين في الثقافة المجتمعية ،بعد ان نصب الاعلام نفسه، حاكما ووصيا على البيئة الاجتماعية الثقافية، يحاول من وجهة نظر بعض المؤسسات الدينية فرض نفسه كمصدر شبه وحيد يفرض خطاب على الاخرين ان ينصتوا لروايته عن الحالة التي يتناولها ولابد ان يعيشها العالم. [١٠] والشكلين التاليين يوضحان بعض ملامح الصراع.

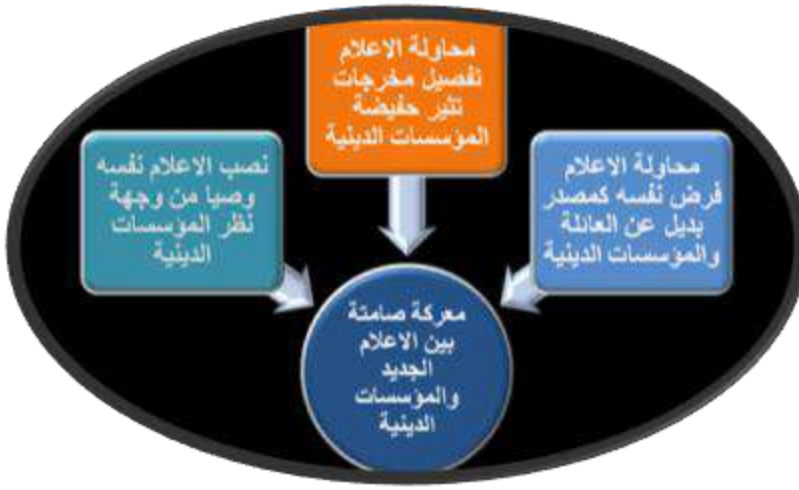
محاولة الاعلام تفصيل مخرجات تتير حفيضة المؤسسات الدينية
نصب الاعلام نفسه وصيا من وجهة نظر المؤسسات الدينية
محاولة الاعلام فرض نفسه كمصدر بديل عن العائلة والمؤسسات الدينية
معركة صامتة بين الاعلام الجديد والمؤسسات الدينية

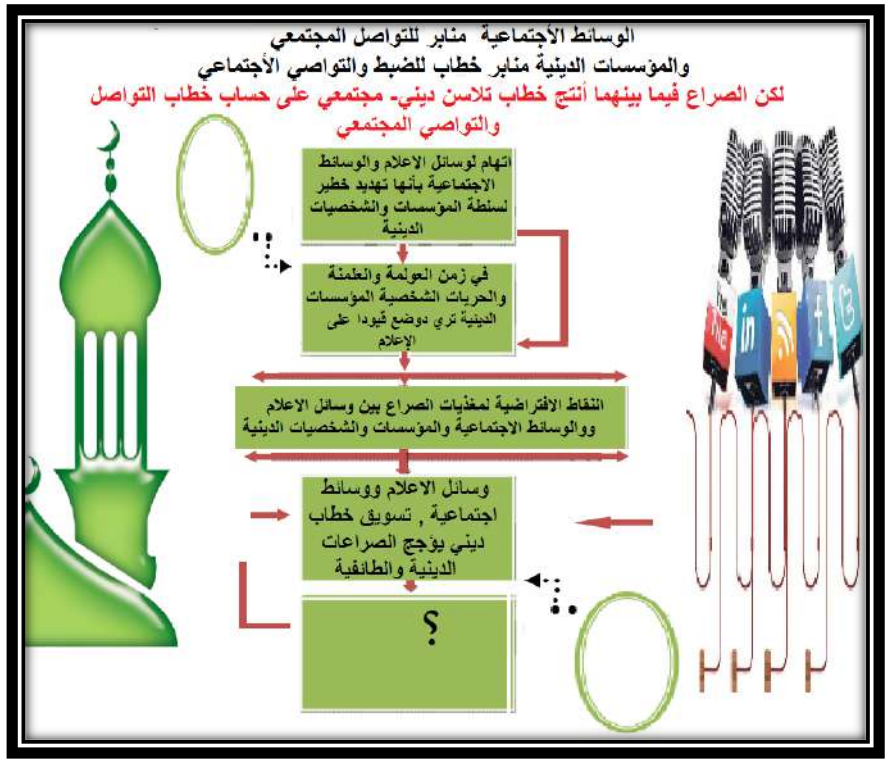
الوسائط الأجتماعية منابر للتواصل المجتمعي
والمؤسسات الدينية منابر خطاب للضبط والتواصي الأجتماعي
لكن الصراع فيما بينهما أنتج خطاب تلاسن ديني- مجتمعي على حساب خطاب التواصل والتواصي المجتمعي
اتهام لوسائل الاعلام والوسائط الاجتماعية بأنها تهديد خطير لسلطة المؤسسات والشخصيات الدينية
في زمن العولمة والعلمنة والحريات الشخصية المؤسسات الدينية ترى دوضع قيودا على الإعلام
النقاط الافتراضية لمغذيات الصراع بين وسائل الاعلام ووالوسائط الاجتماعية والمؤسسات والشخصيات الدينية
وسائل الاعلام ووسائط اجتماعية , تسويق خطاب ديني يؤجج الصراعات الدينية والطائفية
؟

المعركة بين خطاب الأعلام ؟،وخطاب الوسائط الاجتماعية من جهة،وخطاب المؤسسات الدينية التقليدية من جهة أخرى ،اذ بات مرتفعا في ظل المتغيرات التي فرضت نفسها على التواصل الأعلامي، هذا قد خلق حراك بحثي–رقمي في عدد من كليّات الشريعة والدراسات الإسلاميّة، بتنظيم مؤتمرات علمية دوليّة لبيان المصادر الإلكترونيّة للعلوم الشرعيّة، في مختلف أطرها، سواءٌ أكانت نظريّة معرفية، أم عمليّةً خدميّةً، بما يسلط الضوء على مزايا تلك المصادر وعيوبها.الآفاق المستقبليّة لتطوير المصادر الإلكترونيّة للعلوم الشرعيّة، ودراسة مستقبل البحث في العلوم الشرعيّة في ضوء التطور الإلكترونيّ، وطرق تدريس العلوم الشرعيّة إلكترونيّاً ، النشر الالكتروني للأبحاث الشرعية ، دخول المجلات العلمية الشرعية مجال النشر الالكتروني والفهرسة الإلكترونيّة العالمية ، مشاريع مقترحة لعالمية المصادر الإلكترونيّة للعلوم الشرعية تصنيفا ونشرا وإحالة ، الاشكاليات والحلول المقترحة،الأمر الذي يستلزم رسم سياسة الاتجاهات التنموية في مجال العلوم الالكترونية للأدلة الشرعية وكما مشار الى بعض ملامحه في الشكل التالي.

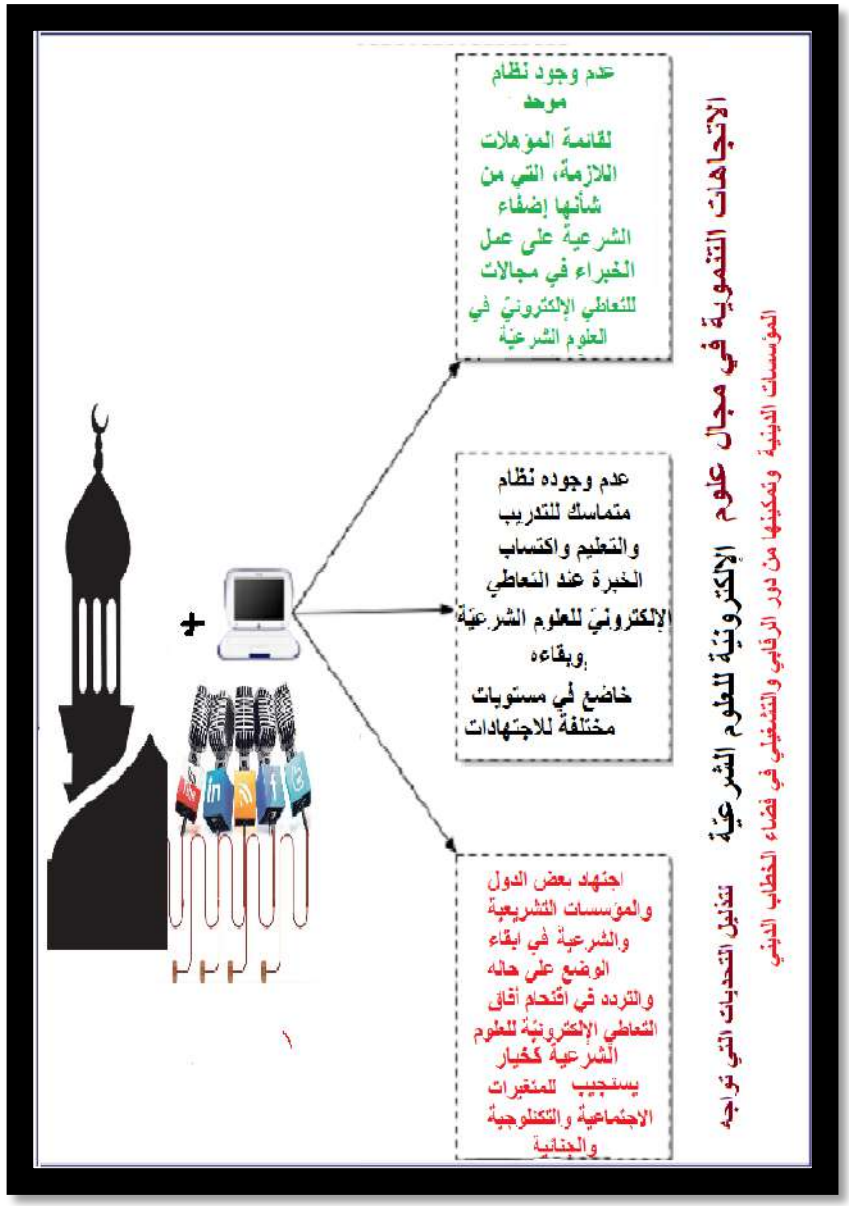

ان رسم اتجاهات التنمية لخطاب اعلام ديني واضح ومستنير سيحقق جملة من الأهداف موضح بعضها في الشكل التالي.

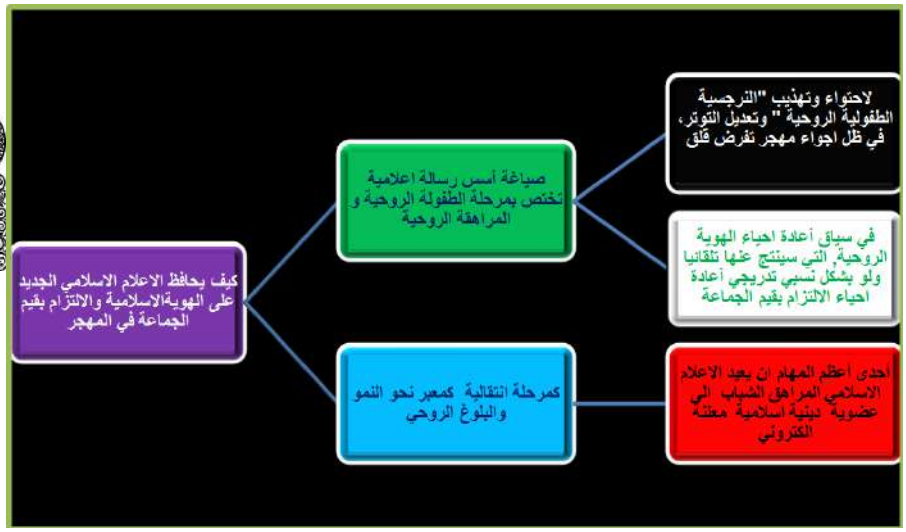

وسائل الأعلام والتواصل الاجتماعي اذ يفترض أن تكون وسائل للتواصل الاجتماعي،والدعاة وأئمة الافتاء يفترض أن تكون مهمتهم كمنابر للتواصي والضبط الاجتماعي، ندعو الى ضبط دعاة التواصل الاجتماعي والاعلام الفضائي،يتوقف البحث أمام ماأصدرته السعودية لقرار يمنع خروج الدعاة على شاشات التلفزيون إلا بإذن رسمي من وزارة الشؤون الإسلاميةالسعودية[١١]، لعل هذا القانون بداية لتنظيم شأن هذه الفئة الإعلامية ضمن نظام محدد وواضح مثلهم مثل غيرهم من أصحاب الأنشطة المتصلة بالجماهير، الامتثال والخضوع لقانون واضح ومحدد يحمي المهنة ويطورها ويحد من سلبياتها، ويقلل من فرص الاختراقات المتبادلة في معركة الفضائين الدين والاعلامي، ليأتي هذا القرار بداية في مشوار طويل لتنظيم ما يعرف بالدعاة وعلاقتهم بالمجتمع والأجهزة والوسائل الاعلامية التي تأخذهم إلى الجماهير كالوسائط الاجتماعية والإعلام والمحاضرات.

يرى الباحث ، حان الوقت لبناء قانون شامل ينظم حركة بعض الذين يتحدثون باسم الإسلام أو يستظلون بظله عند مخاطبة الناس أو يستخدمون الدين مرجعية مباشرة لآرائهم، فمثلما لايعرف الناس عدد الفضائيات الدينية والمسيسة والمتاجرة بالدين،ومثلها شبكات التواصل الاجتماعي،فأنهما لا يعرفون كم عدد الدعاة ولكنهم بالآلاف،تتراوح كفاءتهم بين المتعلم الجامعي والأمي . لا يوجد وظيفة في العالم يغيب عنها التنظيم عدا وظيفة الداعية التي ينعدم فيها التنظيم ولا يتوفر لها أي وصف وظيفي يحدد طبيعتها ومسؤولياتها ومؤهلاتها في كثير من عالمنا العربي .

هذا القرار جذب أقلام مهمة في الوسط الصحفي والاكاديمي السعودي ، ومنحهم فرص المطالبة ،أولا حسم تعريف (من هو الداعية؟) هل هو جزء من الحركة الثقافية التي يتم من خلالها صناعة الرأي والفكر في الأمور التي لا علاقة لها بالدين بشكل مباشر، مثل السياسة والأزمات الدولية والفكرية والأدب والبيئة.. الخ، أم أن وظيفته هي إضافة جديدة للوظائف التي عرفها المسلمون (المؤذن والإمام والعالم الفقيه؟). ثم يطرح السؤال الأهم: هل الداعية يدعو للإسلام أم أنه يعظ المسلمين؟ فإذا كان يدعو للإسلام فلا كلمة ولا مكان له داخل عالمنا العربي الاسلامي،لأن غالبيتنا مسلمين؟ أما إذا كان يعظ فيجب أن يأخذ لقبه من وظيفته وأن يؤطره قانون واضح بالبقاء في مجال الوعظ، إبعاده نظاما عن الحديث في الشؤون السياسية والصراعات الدولية.. الخ، أن يقتصر كلامه على إعادة بث ما هو معروف وموثق ومدون من كلام علماء الفقه الإسلامي المعتمدين من علماء البلاد[١٢].والأمر الأخر الذي لايقل أهمية هو أهمية أصدار تشريعات مماثلة تنسحب على الشبكات الاجتماعية،لمنع كل

من هب ودب للدخول في فضاء الدعوة والأفتاء والخطابة الدينية،لاسيما وأن الواقع اليوم يفرز ظواهر خطابية ألكترونية دينية جديدة،كالخطيب الالكتروني،والمفتي الألكتروني وغيرها أشار اليها البحث..فالفضاء الألكتروني فرض علم اجتماع ديني شعبي الكتروني،لابد أن يخوض العرب غماره بحثا واستقصاءا وتحليلا واستنتاجا للجمع بين الرؤى المختلفة وتصويبها صوب مايحفظ الدين،وأهله،ويعرض خطابا بقيمه الانسانية والأخلاقية السامية،فلايمكن للعرب أن يرتهنوا ويرهنوا مستقبل بلدانهم لخطب أنصاف دعاة ،وأنصاف أئمة،وأمية رقمية،تعززها أمية بعض الوسائط والوسائل الأعلامية،لاسيما وان مصادر أمن التنشة الاجتماعية والدينية حدثت عليها متغيرات جديدة جدية يوضح بعضها الرسم البياني التالي..

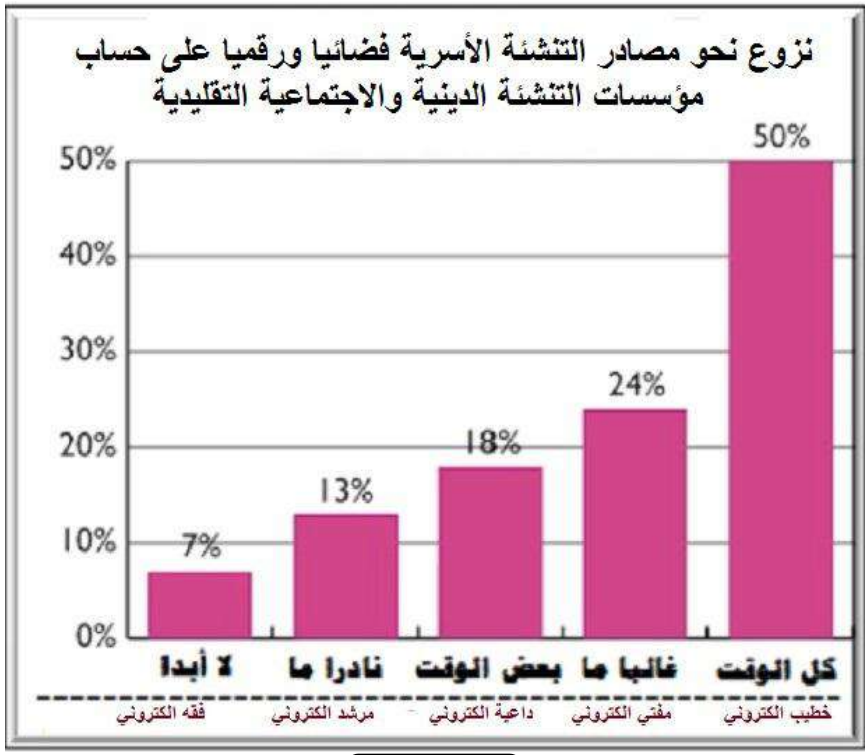

ان هذا الصراع الصامت بين منابر الخطاب الديني–الاعلامي ، لم يمنع بعض المؤسسات والشخصيات الدينية من استثمار المتغيرات الفضائية والرقمية المتطورة في إعادة هيكلة شرعية رموزها ،بعد أن يسرت إلى درجة معينة، في احداث تغيرات في أساس البنية التنظيمية لسلطة المؤسسات الدينية. وخلق أنماط جديدة من التفاعلات بما في ذلك وسائل الاعلام الاجتماعية لبناء ممارسات جديدة للسلطة،لذا يلاحظ في فضاءات مختلفة ازدهار متبادل بين وسائل الاعلام الاجتماعية والسلطة الدينية .

فلابد اذن ،من رفع لمستوى الزخم لمنح دراسية حول التحقيق في علاقات التآزربين المؤسسات الاعلامية والدينية.

لاسيما بعد أن بينت الدراسات والأبحاث أن العديد من الشخصيات الدينية عرضت كفاءات جديدة للاتصال التفاعلي عبر مجموعة متنوعة من وسائل الإعلام للوصول إلى التجمعات السكانية بطريقة إيجابية1] ٣[،وهذا مهم للمؤسسات والشخصيات الدينيةفي سعي إلى تعديل الهوية الاجتماعية التواصلية لهم ليصبح الفضاء الرقمي وسيط المعرفة الدينية الجامعةالملتزمة المتبصرة.

المبحث الثالث

تحديات الخطاب الديني في أدارة التنوع .

يحاول البحث ان يستكشف كيف يمكن أن ينخرط الاعلام الالكتروني والفضائي الإسلامي بشكل أكثر فعالية في مجتمعات متنوعة الهوية، مع التركيز بشكل خاص على الجهات الدينية، ل دورها المهم لتحقيق التماسك الاجتماعي الإسلامي في المجتمعات الأخرى للتخفيف من رهاب الإسلام، لاسيما وان شراكة مجتمعية وفقا لاعتبارات الهوية الدينية اما تكون منصة للاستبعاد الاجتماعي أو خيارا نحو التماسك الاجتماعي.

الدين هو الساحة الاجتماعية الأكثر تفاعلية في العلاقة مع الانقسامات الاجتماعية الأخرى،بعد ان باتت عولمة الدين وظهور الجماعات الدينية العابرة للبيئة الوطنية مؤثرة على ديناميات التماسك الاجتماعي المحلي. التماسك الاجتماعي ينهار تحت توليفات مختلفة من الضغوط،والخطر ان يتحرك التماسك الاجتماعي و مخاطر التفتيت معا كالذي يحدث في دول النزاعات العربية،في أجواء ضعف توظيف الخطاب الإسلامي الجامع للديناميات الفاعلة التي فرضتها المتغيرات الحتمية في التكنولوجيات التقنية لوسائط الاتصال في مكافحة رهاب الفدرلة والأقلمة والرؤى الانفصالية ،وتفاوت أشكال التفاعل معها في خلق تغذية استرجاعية معها.

أن ممارسة الدين له تأثير كبير على السعادة وإحساسا عاما، فالرفاه الشخصي نقيض الإرهاب، فمنهجية للدراسات عن الالتزام الديني والرفاه الشخصي، وجدت أن علاقة قوية وإيجابية، عموما، تحسن الأداء النفسي بعد استئناف المشاركة في الشعائر الدينية . [١٤] وهذا ما فشلت كثير

من منابر الخطاب الديني ،والمؤسسات التعليمية والاجتماعية ، في جعل هذه الحقيقة مصدرا مهما من مصادر أمن التنشئة الأجتماعية الأسرية والمجتمعية.

فمثلا، قضية الدين والانهيار الاجتماعي ،ممارسة الشعائر الدينية الاسلامية له آثار مفيدة على العلاقات السلوك والاجتماعية: على عدم شرعية والجريمة والجنوح، والاعتماد على الرعاية الاجتماعية والكحول وتعاطي المخدرات، والانتحار، والاكتئاب، والعام احترام الذات.ان مراجعة كمية صغيرة من الأبحاث التي أجريت على العلاقة بين الجريمة والدين تظهر ان السكان الأكثر التزاما تميل إلى أن تكون أقل ارتكابا لجرائم القتل والانتحار . [١٥]لكن فشل الخطاب الديني- الاعلامي بالترويج لهذه الأدلة،وإبراز الاعلام لجرائم جنائية وارهابية ،وتصوير الواقع مفخخ بصراعات ذات أسس دينية،رجح كفة التهمة الجنائية الإرهابية ورفع حدة الرهاب الإسلامي ، يتم دعمها بنتائج علوم اجتماعية-قضائية تربط بتناسب طردي بين مجرمي الجرائم الجنائية واحتمالات تحولهم التلقائي للجرائم الإرهابية.

دول المركز العربي ،وبالذات مؤسسة الأزهرمعنية بالسعي لرسم سياسة واضحة في الممارسة العامة للدين، مع العديد من الأديان في مجتمعات تعددية، من دون أن يعني إقامة دين جديد وفق القياسات الدولية،القضية تحتاج إلى نقاشات عربية كبرى ، بعد ان بان ان مكانة وتأثير المؤسسات الدينية وممثليها تتعرض لضغوط التأكل والتراجع في المجتمع أسبابها داخلية وخارجية،على حساب دور مفترض في طليعة التجديد والتلاقي الأخلاقي والانساني، فالترويع الذي تتعرض له المجتمعات في دول النزاعات العربية مثلا نتيجة تسيس وتسليع الدين دفع كثر منهم إلى

التردد والتهيب مع المؤسسات الدينية وطلاق خطابها، في محاولة للابتعاد عن سياسة التخوين و التخويف التي باتت علامة واضحة في الممارسة على أساس المعتقد الديني،والذي تسببت به تخمة خطاب ديني مسيس،وتخمة خطاب تديين السياسة في الوصول لهذا المأل ،مماقوض وأربك الحضور الواضح للعلاقة بين حضور الدين بانتظام في القضايا الاجتماعية،والدور الاجتماعي للسياسة، بما يلفت الانتباه إلى الاثار الهائلة والمضرة التي اعكست على المجتمعات ،بعد ان فشلت كثير من المؤسسات الدينية في أن يعرف الناس أن ممارسة الشعائر الدينية هو حليف قوي للعمل الاجتماعي من منطلق البعد الأنساني للدين، كون الممارسة الدينية جيدة بالنسبة للأفراد والأسر والدول،تحسن الصحة، التعليم، الرفاه الاقتصادي، وضبط النفس، واحترام الذات، والتعاطف، أنها تقلل من نسبة حدوث الأمراض الاجتماعية[١٦]. هنا بان خطرالدور المدمر للخطاب الديني المسيس بأفراط في تهديد الوحدة بالتنوع،بعد أن رفع حساسية الصراعات الطائفية والمذهبية، مما وفر بيئة داخلية عربية ،بمضمون خطابي اقليمي غير عربي يعمل على تقريب وتوطين صورة سايكس بيكو جيوسياسيةعربية، رديف لسايكس بيكو خطاب ديني مجزء ومتقاتل مصر على توطين التقسيم والتجزئة.

بالنسبة للكثيرين، مؤسسات دينية،واعلام فضائي وتواصلي اعتبروا المتغيرات الاعلامية مرادف لتوليد التغيير في تخريب الدول والهياكل الهرمية السابقة للسلطة كما هو الحال فيما سمي "بالربيع العربي"لذا سعت كل الأطراف لتغيير هيكلية سلطة التأثير،وأسس مصادر التنشئة ، من دون حساب مقدار التكلفة الباهضة التي يدفعها التماسك المجتمعي والهوياتي العربي،فالخطاب الديني المسيس عبر منابر الاعلام عمل في

ان يجعل من هوية الاقليات سجن للتنوع في وحدته،بعد ان تجاوز حقيقة ان الهوية ممر تعاون وتعاضد مع الهويات الاخرى في مجتمعات تعددية[١٧]،خطاب ديني مسيس يريد ان يترك ارثا للاجيال القادمة مطعونا بذاكرة ممتلئة الجراح،محاولا افلاس الدولة والهوية الوطنية الجامعة وافقارها وتجريدها من قوتها ،عبر محاولات اقصاء تريد تحويل هويته التعددية الجامعة الى هوية احادية صماء،من دون ان يدرك متبنوا خطاب التفتيت الديني المسيس،ان هذا الخطاب يجعل من يدعون الاغلبية في خطر عبر افقارها من تنوعها،ذلك خطاب يطرح تحديات محاولات تحطيم ثقافة مجتمعية عربية الفية عابرة للزمن،كانت ولازالت شاهدة على معجزة الاستمرار في المكان كدليل على قيمة التعايش كعقد اجتماعي تاريخي،شكل هوية عالمنا العربي وحفظ ذاكرته. انه الطعن بالابوة الدينية العربية الجامعة وتنازل خطير عن رئاسة دينية،ودعوة للتقوقع والانعزال،والقبول بأبوة دينية تركية–ايرانية تفتح الطريق لأبوة سياسية تحول عالمنا العربي الى مستوطنات تجاذب تركي – ايراني .الشكل التالي يوضح بعض نقاط التقاء خطاب التطرف والتقسيم مع اهداف خطابي الهيمنة الايراني– التركي.

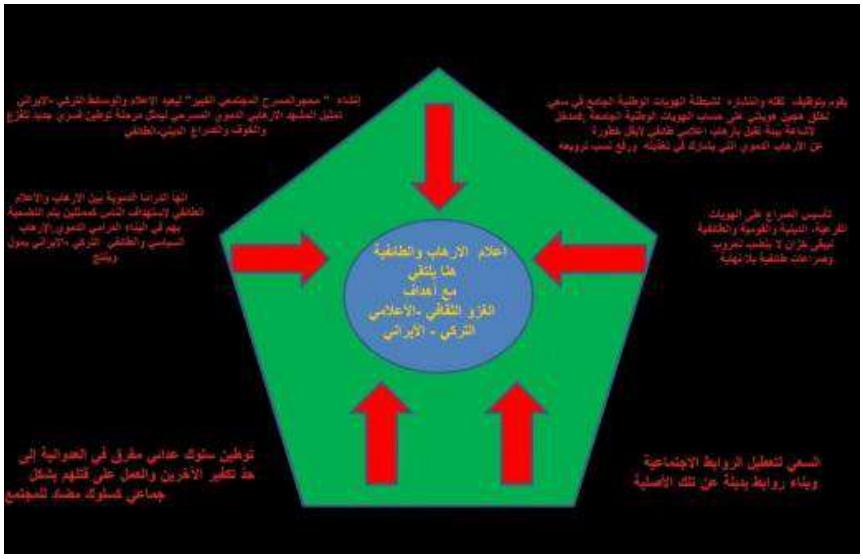

هنا تبدوا علاقة الخطاب الديني السلطوي المسيس بثنائية الاعلام والدين كموضوع عميق ومثير للجدل يتجاوز الفضائين الدين والاعلامي الى تحديات أمن الدولة والمجتمع ،بعد أن لاحظ البحث كيف انعكس ذلك سلبا في خلق بيئة "منطق الانفصال" كبديل لمنطق الوحدة بالتنوع،مما يفصح عن حيثيات معركة لم يكن مسار خطابها الديني المسيس نابعا من ضرورات وحدة الأمة ومصالح أبنائها بقدر ما حركت اتجاهاته معركة النفوذ والمال والسلطة كما هو الحال في دول النزاعات العربية ،بعد أن تم وضع تصور مبسط على أن مؤسسات الاعلام تسعى لتقوض السلطة الدينية وسعيها لخلق عدد كبير من الأصوات البديلة عنها في الفضائين الاعلامي والإلكتروني فأعتبروه تهديدا للسلطة السياسية الدينية ،وتعليلا ملحقا قالوا انه تعطيلا لدور مؤسسات التنشئة التقليدية ،من دون ان تأخذ تحديات افرازات ومخرجات ذلك الصراع ،والتمويه تماسك الدولة والمجتمع بقدر بحثي يناسب مخاطره،مثلما لم تأخذ حقائق مهمة فرص تشغيلها البحثي – الاعلامي– الخطابي الديني فرص توطينها،مثل حقيقة،

إن الدولة هي مدنية في طبيعتها تشكل إطارا جامعا لمواطنيها على قدم المساواة بالحقوق والواجبات، وليس للدولة الديموقراطية صفة دينية.

إن العيش بسلام هو حق للفرد وللجماعة بعيدا عن أي أذية مادية أو معنوية ومن ثم يقتضي إدانة كل ممارسة للعنف ولا سيما الذي يمارس باسم الله أو الدين، وهذا بدوره غيب وتأخر دراسة وتعريف بمداخل وخرجات التجربة المصرية،ومايحصل في المجتمع المصري اليوم،في علاقات التشغيل المتبادل حكوميا ودينيا صوب تعزيز أمن الدولة والمجتمع ،عبر عملية تمديم مجتمعي للدين ،والتدين،خلقت مصل مضاد ضد الطوائفية العنصرية –العكسية في الخطابين الديني–الاعلامي،قطعت الطريق على أي استعارة للقيم والممارسات التصارعية – الموية التي نرى كثير منها في دول النزاعات العربية،لتعبر عن أكتفاء قيميا بما لدى المجتمع في غناه التعددي،لتحمي مصر محصولها المجتمعي الديني–السياسي.الشكل التالي يقدم تصور الباحث لمألات التجربة المصرية وتأثيرها الايجابي عربيا

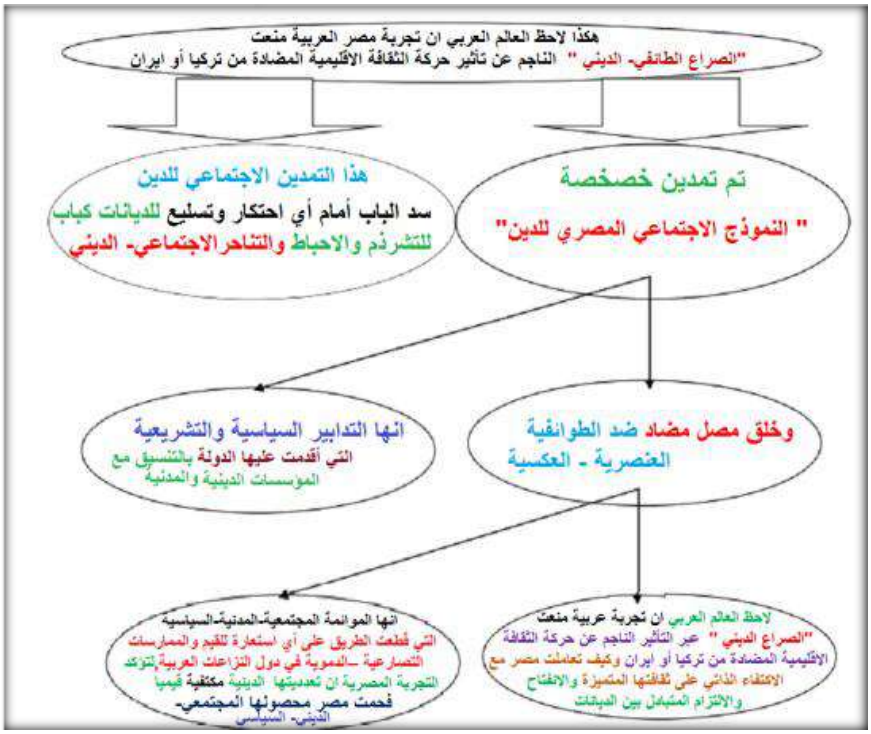

في زمن معولم وموعلمن، يمكن أن يولد خطاب ديني واقعي من رحم التسامح المشروط

أولا، خطاب التسامح الديني المشروط في زمن العلمنه والعلمانية،خطاب يتضمن القيم الديمقراطية والحرية والمساواة والتسامح ،متسامح لايكبل الحريات الشخصية في خياراتها الدينية والدنيوية

ثانيا،خطاب التسامح المدني المشروط، هو خطاب يحترم الاديان،والحريات الدينية.

ومن رحم الخطابين يمكن ان تتوفر بيئة لولادة خطاب ديني لايسيس الدين ولا يقوم بتسليعه وتغريبه للتغرير بالاخرين.

والفكرة المركزية من القصة تدور حول التعددية الدينية ،كفكرة وكسياسة عملية –،بعد أن باتت العلمنه والعلمانية الكونية معبرة عن

التعددية الدينية والسياسية الثقافية،ليس لتوطين فكرة خاطئة لإبعاد الدين من المجال العام ولكن لإعادة تشكيل خطاب موحد لمجتمع تعددي،يلجم خطاب التطرف ،وقاعدته المعرفية،ونعتقد ان المؤسسات الدينية المختلفة ،تتطابق مع مؤسسات المجتمع المدني أنها غالبا ما تمارس بشكل جماعي،عبر توفير وسائل إضافية للتفكير، في المجتمعات وبما يساعد على عقلنة الخطابات المغردة خارج سربها العربي.

المبحث الرابع

النتائج والتوصيات

إن تجديد هذا الخطاب ضرورة فطرية وبشرية؛ لأن هذا الخطاب الديني الحالي مفكك وفردي، بينما يشهد العالم تجمعات وتطورات هائلة في مجال التقنية والمعلومات والاختراعات ، فلا بد من خطاب ديني واع ومعاصر ومنضبط يستطيع أن يضع هذه النهضة ويساعد عليها ويدفعها لإخراج الأمة من . هذا التيه والدوران الذي تدور فيه حول نفسها

المعطيات وفق تفسيراتها العلمية تثبت اذا لم يعاد رسم سياسة خطاب رسمية سياسية ودينية واعلامية عربية تتحول الى قوة تثبيت عربية، فأن هذه المعطيات ذاتها ستكون الرحم الذي سيولد منه تنين يقسم العرب الى ما هو ابعد من التقسيمات المذهبية والطائفية التي يتم التحذير منها الان، وستتجمع الاحتقانان السياسية وصراعات ادواتها السرية والعلنية وسيجد العرب انفسهم في مواجهة بعضهم البعض الاخر.

هنا يرى الباحث ان النخب الفكرية والدينية والسياسية تتحمل مسؤولياتها التاريخية لحفظ وصيانة السلم الاجتماعي، وما الخروج على الاخوة والشراكة إلا الشر المستطير الذي لا يؤدي إلا للخراب والفوضى. الامر الذي سيساعد في ان تعمل دول الثقل العربي كمصر بسياسة الابوة الضامنة، تفعيلا لشراكة العقل الباني، لان ما يجري في كل دول المشرق العربي يؤثر ويتداخل الواحد مع الاخر.

تبدوا علاقة الخطاب الديني السلطوي المسيس بثنائية الاعلام والدين كموضوع عميق ومثير للجدل يتجاوز الفضائين الديني والاعلامي الى تحديات أمن الدولة والمجتمع ،بعد أن لاحظ البحث كيف انعكس ذلك

سلبا في خلق بيئة "منطق الانفصال" كبديل لمنطق الوحدة بالتنوع،مما يفصح عن حيثيات معركة لم يكن مسار خطابها الديني المسيس نابعا من ضرورات وحدة الأمة ومصالح أبنائها بقدر ما حركت اتجاهاته معركة النفوذ والمال والسلطة كما هو الحال في دول النزاعات العربية ،بعد أن تم وضع تصور مبسط على أن مؤسسات الاعلام تسعى لتقوض السلطة الدينية وسعيها لخلق عدد كبير من الأصوات البديلة عنها في الفضائين الاعلامي والإلكتروني فأعتبروه تهديدا للسلطة السياسية الدينية ،وتعليلا ملحقا قالوا انه تعطيلا لدور مؤسسات التنشئة التقليدية.

علاقة الخطاب الديني السلطوي المسيس بثنائية الاعلام والدين كموضوع عميق ومثير للجدل يتجاوز الفضائين الدين والاعلامي الى تحديات أمن الدولة والمجتمع ،بعد أن لاحظ البحث كيف انعكس ذلك سلبا في خلق بيئة "منطق الانفصال" كبديل لمنطق الوحدة بالتنوع،مما يفصح عن حيثيات معركة لم يكن مسار خطابها الديني المسيس نابعا من ضرورات وحدة الأمة ومصالح أبنائها بقدر ما حركت اتجاهاته معركة النفوذ والمال والسلطة كما هو الحال في دول النزاعات العربية ،بعد أن تم وضع تصور مبسط على أن مؤسسات الاعلام تسعى لتقوض السلطة الدينية وسعيها لخلق عدد كبير من الأصوات البديلة عنها في الفضائين الاعلامي والإلكتروني فأعتبروه تهديدا للسلطة السياسية الدينية ،وتعليلا ملحقا قالوا انه تعطيلا لدور مؤسسات التنشئة التقليدية ،من دون ان تأخذ تحديات افرازات ومخرجات ذلك الصراع ،والتمويه تماسك الدولة والمجتمع بقدر بحثي يناسب مخاطره،مثلما لم تأخذ حقائق مهمة فرص تشغيلها البحثي – الاعلامي – الخطابي الديني فرص توطينها،مثل حقيقة,

إن الدولة هي مدنية في طبيعتها تشكل إطارا جامعا لمواطنيها على قدم المساواة بالحقوق والواجبات، وليس للدولة الديموقراطية صفة دينية.

إن العيش بسلام هو حق للفرد وللجماعة بعيدا عن أي أذية مادية أو معنوية ومن ثم يقتضي إدانة كل ممارسة للعنف ولا سيما الذي يمارس باسم الله أو الدين، وهذا بدوره غيب وتأخر دراسة وتعريف بمداخل وخرجات التجربة المصرية،ومايحصل في المجتمع المصري اليوم،في علاقات التشغيل المتبادل حكوميا ودينيا صوب تعزيز أمن الدولة والمجتمع ،عبر عملية تمديم مجتمعي للدين ،والتدين،خلقت مصل مضاد ضد الطوائفية العنصرية –العكسية في الخطابين الديني–الاعلامي،قطعت الطريق على أي استعارة للقيم والممارسات التصارعية – الموية التي نرى كثير منها في دول النزاعات العربية،لتعبر عن أكتفاء قيميا بما لدى المجتمع في غناه التعددي،لتحمي مصر محصولها المجتمعي الديني–السياسي.

<u>في زمن معولم ومعلمن، يمكن يولد خطاب ديني واقعي من رحم التسامح المشروط</u>

اولا خطاب التسامح الديني المشروط في زمن العلمنه والعلمانية،خطاب يتضمن القيم الديمقراطية والحرية والمساواة والتسامح ،متسامح لايكبل الحريات الشخصية في خياراتها الدينية والدنيوية

ثانيا،خطاب التسامح المدني المشروط،وهو خطاب يحترم الاديان،والحريات الدينية

ومن رحم الخطابين يمكن ان تتوفر بيئة لولادة خطاب ديني لايسيس الدين ولا يقوم بتسليعه وتغريبه للتغرير بالاخرين.

والفكرة المركزية من القصة تدور حول التعددية الدينية ،كفكرة وكسياسة عملية –،بعد أن باتت العلمنه والعلمانية الكونية معبرة عن التعددية الدينية والسياسية الثقافية،ليس لتوطين فكرة خاطئة لإبعاد الدين من المجال العام ولكن لإعادة تشكيل خطاب موحد لمجتمع تعددي،يلجم خطاب التطرف ،وقاعدته المعرفية،ونعتقد ان المؤسسات الدينية المختلفة ،تتطابق مع مؤسسات المجتمع المدني أنها غالبا ما تمارس بشكل جماعي،عبر توفير وسائل إضافية للتفكير، في المجتمعات وبما يساعد على عقلنة الخطابات المغردة خارج سربها العربي.

إننا من خلال رصدنا لواقع الخطاب الديني في عصر العولمة، أن ثمة إشكاليات تطرح نفسها بقوة، ولابد أن نجد لها حلولًا فعالة، واذ نتفق مع بعض هذه المشكلات التي عرضها الدكتورأستاذ الصحافة وتكنولوجيا الاتصال ووكيل كلية الإعلام – جامعة القاهرة ونعدل بعضا منها:

أولًا: لا توجد قناة فضائيات دينية إسلامية تعكس قيم الإسلام الوسطى المعتدل ، وتنطق بلغات عدة للوصول إلى شعوب الأرض الذين ينتمون لأجناسٍ شتى ولغات عديدة، بل إن القنوات الدينية الإسلامية تصطبغ بطابع المحلية الشديدة، بل وتخلط على الناس دينهم ، وكانت تلجأ في الغالب إلى تسييس الدين، وترسيخ الطائفية التطرف والغلو.

ثانيا: أننا لم نديتم تدشين مواقع وبوابات دينية إسلامية على شبكة الإنترنت تروج لخطاب إسلامي مستنير يتفق مع طبيعة المجتمعات الغربية والمسلمين الذين يقطنون فيها ويحتكون بثقافات مغايرة عما هو موجود في المجتمعات العربية والإسلامية.

ثالثًا: أن المؤسسات الدينية الكبرى عربيا في الخطوات التي خطتها لتجديد الخطاب الديني– لم تقم بدورها في الدعوة الإسلامية في العالم أجمع وفقًا

لمفهوم عالمية الإسلام من خلال وسائل الإعلام التقليدية والجديدة، واكتفى بدوره في التعليم الديني لبعض الطلاب الوافدين من دول مختلفة أو ببعض القوافل الدينية ذات التأثير المحدود في بعض الدول، حيث لم تصدر مطبوعة عالمية بلغات عدة تصل للمسلمين والذين يريدون أن يقرأوا عن الإسلام في بقاع الأرض كافة وبلغات مختلفة، كما أن بوابتها على شبكة الإنترنت غاية في المحلية وباللغة العربية فقط،عدى أن بعض البوابات الإسلامية الممولة خليجيًا تنطق بلغات عدة منها "بوابة الإسلام اليوم" السعودية التي تنطق باللغات العربية والإنجليزية والفرنسية والصينية.

رابعًا: أننا أغفال توظيف شبكات التواصل الاجتماعي كالفيس بوك وتويتر ويوتيوب في بث خطاب إسلامي عولمي مستير يبرز تسامح الإسلام ووسطيته واعتداله، وتركت هذه الشبكات للإرهابيين والمتطرفين، حيث أصبحت هذه الشبكات أدوات فاعلة في أيدي التنظيمات الإرهابية يستخدمونها لتجنيد المتطوعين من شتى بقاع الأرض، ويروجون من خلالها خطابًا دينيًا متشددًا مؤسسًا على أساطير "الدولة الإسلامية" و"الخلافة"، و"الجهاد" .. وغيرها.

خامسًا: ليسا هناك سياسة عربية واضحة لدى الدول الأوروبية منذ الثمانينيات من القرن الماضي لإقناعها بالعدول عن موقفها حينما بدأت في توفير الملاذ الآمن ومنح جنسيتها أو حق اللجوء السياسي لبعض المتشددين والمتطرفين من الدُعاة الذين لفظتهم دولهم العربية والإسلامية بحجة إيمانها بحرية الرأي والتعبير، وهو ما أدى إلى فتح منصات إعلامية ومنابر في المساجد والمراكز الإسلامية المنتشرة بالدول الأوربية لخطاب ديني متطرف يغذي مفهوم التغيير بالسلاح على أساس عقائدي،

وهو ما جعل هذه البيئة صالحة لتجنيد من يقاتلون من الأوروبيين الآن في صفوف التنظيمات الإرهابية على الأرض العربية، وانتقال ذلك الإرهاب إلى أوربا ذاتها في فرنسا وألمانيا في الوقت الراهن.

سادسًا: ليس هناك سياسة عربية تستطع أن نقنع الأوربيين والأمريكيين من خلال خطاب إعلامي عقلاني بعدم مساندة الإرهاب والجماعات الإرهابية.

ويكرر الباحث رهانه الايجابي قدرة المؤسسات الدينية على تحقيق الثورة الدينية المرجوة،فيتفق مع مع مارأه الدكتور سعد هلالي، الأستاذ بجامعة الأزهر في قوله، «يجب على المتلقي للفتاوى أن يقوم بتحكيم عقليّ وليس بتسليم ديني»، مطالبا بتصحيح الفكر القديم المعتمد في الشارع على أن الفتوى إذا خرجت من أي مؤسسة دينية أو علماء كأنها خرجت من الله، تأكيدا لما يراه الدكتور محمد الشحات الجندي، عضو مجمع البحوث الإسلامية، أن تجديد الخطاب الديني في هذه المرحلة الفارقة، يعد فريضة حتمية في ظل ما تتعرض له المجتمعات الإسلامية من ممارسات وأفكار مغلوطة، تجري على أرض الواقع، وتتمزق بها الأوطان الإسلامية من خلال فكر شيطاني آثم لا يرعى للدين حرمة، ولا يقدر قيمة النفس الإنسانية، التي منحها الله الحماية والحصانة، إن هذا الخطاب ينبغي أن يرتكز على دعائم قبول الآخر المخالف، والتوحد على الهدف، وجمع الشمل، وإعلاء المصلحة العامة، والانتماء للدين والوطن بلا تفرقة بينهما؛ لأن رفعة الدين لا تتم إلا من خلال وطن يكون للجميع.

البحث يقترح إدراج « محو الأمية الاعلام الديني،ومحو أمية الدين المؤسساتي الرقمي ،كمدخل لتشكيل تحالفات تجمع فائض الخبرة الالكترونية مع فائض الهمة الدينية المؤسساتية الواعية» واعتبارهذا

الموضوع جزءا اساسيا للبحوث المستقبلية ،فالكل بحاجة إلى التركيز على فهم أفضل وتحليل نقدي لأنماط وممارسات جديدة لثقل الاعلام الجديد في الخطاب والتنشئة الاجتماعية الاسلامية ، الإمكانات، وكذلك التحديات،في ظرف تتراجع مصادر التنشئة الأسرية والدينية التقليدية أمام سلطة وسائل الاعلام والوسائط الاجتماعية ،وكما موضع في عينة استقصائية في الرسم البياني التالي,

وسائل الإعلام الالكترونية هي الساحة الأكثر تواترا من الأسرة – والمؤسسة الدينية – كمصدر رئيسي للشباب، ومن ضمنهم الشباب المسلم في القضايا الدينية. تجاوز العائلة كمؤسسة اجتماعيه ،والمؤسسات الاسلامية كمصدرين للمعارف الاسلامية، وبشكل يسعى لصنع فضاء جديد لتقاسم القيم والمعارف والمعايير الدينية الى ما هو أبعد من نطاق العائلة والمؤسسات الاسلامية.

معركة صامتة بين بعض وسائل الاعلام التي تسعى لتشكيل ديانات وفق مقاسات قيمها السياسية والاخلاقية التي تؤمن بها، وتحاول تسويقه كدين جديد للفئات الشعبية، والمؤسسات، وبين المؤسسات الدينية ،التي تطمح في توظيف ثقلها الاجتماعي لشيطنة وسائل الاعلام التي تتحسس او تناصبها الجفاء ولا نقول العداء، انها تتهم بعض وسائل الاعلام في اغتصاب مكان ومكانة الدين في الثقافة المجتمعية.

أحد أهم ما يواجه الاعلام الاسلامي الجديد هو صياغة أسس رسالة اعلامية تختص بمرحلة الطفولة الروحية و المراهقة الروحية كمرحلة انتقالية كمعبر نحو النمو والبلوغ الروحي يساعد على احتواء وتهذيب "النرجسية الطفولية الروحية " وفق قواعد علم النفس الادراكي في التكامل الهادف، وتعديل التوتر، في ظل اجواء مهجر تفرض قلق وتداخل غير

طبيعي ،تتحول فيها الاخطاء المزاجية، والتوترات المدمرة، في أحيان كثيرة الى عيوب صارخة.

ليس هناك فرص كبيرة لتطوير خطاب ديني معتدل ومتنور من دون ضبط عملية الصراع بين وسائل الاعلام والمؤسسات الدينية ،ورجال الدين المتنورين،وضبط وتطويق عملية تسيس وتسليع الخطاب الديني من قبل احزب الاسلام السياسي الحاكم والمعارض على حد سواء في الخارطة السياسية العربية .

النزوح الخطابي السياسي المتاجر بالاديان،لايمثل هذا أقنعة التأثيرات السياسية غير المباشرة التي ينتجها الدين السياسي الحاكم والمعارض فقط ،بل وهي أيضا تنتجها بعض المؤسسات الدينية وبعض رجال الدين. اذ ندعو وسائل الاعلام الى انضباط مهني اجتماعي، علينا الاعتراف إن احترام حرية النقد في الشؤون الدينية وفي المؤسسات الدينية هو حق استنادا إلى مفهوم النقد السائد في الأوساط العلمية والثقافية ووفقا لأخلاقيات العلم وثوابته ومناهجه إضافة إلى انسجامه مع حرية الرأي، بعيدا عن الشتيمة والقدح والذم والتحقير والإساءة والفتنة والتي لا تندرج في إطار مفهوم هذا النقد. "فالحرية لا تتجزأ

المراجع

[1]عزيز علي ،الطائفية في المشرق العربي والمسؤولية السياسية والقانونية،عمان، ٢٠١٤

[2] الخطاب الطائفي في العراق،عمان، ٢٠١٥.

[3]Arendt bus, Philip Kerksieck, Axel Föller-Mancini, og Klaus Baumann. "De åndelige aspekter og idealer til at hjælpe teenagere fra high school akademiske kristendom." International Journal of Børns spiritualitet 17 (2012): 99-166.

[4]Lynn G. Underwood, og Jane A. Teresi. »Åndelig oplevelse daglig skala:. Udvikling, teoretiske beskrivelser, pålidelighed, sonderende faktor analyse og indledende bane egnethed bruge helbredsoplysninger" Annals of Behavioral Medicine 24 (2002): 22-33..

[5]Cheung, P., Huang, S., Bonn, J., 2011a. "Religiøse viden og magt forbindelser til lederne i de kablede organisationer troens." Journal Communications 0,61 (5), s. 938-958.

[6] 2012. "tweeting til koret: religiøse identitet byggeri og forhandling magtpositioner på kvidre"

afhandling Master of Arts i Lingvistik, Georgetown University. O'Leary 0,2012.

[7]أ.د. شريف درويش اللبان ،الثورالثورة الدينية: الإعلام وتجديد الخطاب الديني،القاهرة،الأربعاء ١٤/يناير/٢٠١٥

[8]اتهام لوسائل الاعلام بأنها تهديد خطير لسلطة المؤسسات والشخصيات الدينية

[9]ديباجة مؤتمر قضايا تجديد الخطاب الدينى بين النصوص الشرعية والأعراف

مركز تجديد الخطاب الديني وفقه الواقع كلية دار العلوم – جامعة الفيوم: ١٦-١٨ مارس ٢٠١٧

[10]عزيزعلي،ملامح التجربة الاسكندنافية الامنية-الاستخبارية في مكافحة التطرف والارهاب،ورقة بحثية القيت في منتدى الامن والتنمية الاوورومتوسطي،النمسا،٢٠١٦

[11]قرارأصدرته السعودية لقرار يمنع خروج الدعاة على شاشات التلفزيون إلا بإذن رسمي من وزارة الشؤون الإسلاميةالسعودية

[12]عبد الله بن بخيت،الدعاة والتلفزيون،الرياض، ٢٢ ديسمبر ٢٠١٦م

[13] Jenkins, H., 2006. Konvergens Kultur: Hvor gamle og nye medier kollidere. New York: New York University Press. Knowles, S., 2013.

[14] Marshall B., Allievi S, F Dassetto, og Nielsen J, muslimer i det udvidede Europa. Religion og Samfund, Brill, Leiden, 2003, s 54. uddrag i Islam i Europa-Parlamentet, og 100,

[15]Islamiske verden og nye offentlige rum. Bloomington: Indiana University Press, pp 41-55..

Brummans, B., Hwang, JVC Cheung, P., 2013.

[16]Geert Bickel. ".. Religionsmonitor Den Verstehen verbindet Religiosität Im Internationalen Vergleich" Bertelsmann Stiftung, 2013. Tilgængelig online på: http://www.religionsmonitor.de/pdf/Religionsmonitor_IntVergleich.pdf

[17]سعد سلوم،الاقليات في العراق،واشنطن ٢٠٠٩،ص٤٥